الحركات الإسلامية والمجتمعات العربية 2/2 الخطاب – السلوك – الأدوات

14-10-2003

تبدو أبرز استحقاقات المرحلة القادمة أمام الحركات الإسلامية في وظيفتها الاجتماعية متمثلة بـ:أولاً/ الاهتمام بالدراسات الاجتماعية: من خلال..أ- بناء مقاربات موضوعية وعملية في فهم البنى الاجتماعية

بقلم محمد سليمان

2. استحقاقات المرحلة القادمة:

تبدو أبرز استحقاقات المرحلة القادمة أمام الحركات الإسلامية في وظيفتها الاجتماعية متمثلة بـ:

أولاً/ الاهتمام بالدراسات الاجتماعية: من خلال..

أ- بناء مقاربات موضوعية وعملية في فهم البنى الاجتماعية الأساسية في المجتمعات العربية، والفواعل الاجتماعية المؤثرة.

ب- دراسة التحولات الاجتماعية وما يصاحبها من ظواهر وما ينتج عنها من تداعيات.

ج- رصد مساحات الاختراق الأمريكي والغربي لنخب اجتماعية عربية وإدراك مدى ونوعية هذا الاختراق الذي يستفيد من اضطراب الأوضاع الاجتماعية المتأثرة بالمتغيرات السياسية وانعكاسات العولمة والظروف والتحولات الاقتصادية، والعمل على محاصرته ومنع استفحاله داخل شرائح أكبر.

د- دراسة مفاتيح التغيير الاجتماعي ومراحله، والوسائل التي تؤدي إليه.

و- قراءة وتحليل طبيعة للدين الاجتماعي للدين ومفاهيمه الاجتماعية والسياسية، وأثر الحراك الاجتماعي على إدراك الإسلام والممارسة الدينية لدى الفئات المختلفة.

ي- الوصول من خلال هذه الدراسات إلى أولويات الخطاب الاجتماعي في المرحلة القادمة، والمحددات الواقعية التي يجب مراعاتها في لغته وأسلوب صياغته والأدوات الأفضل لتقديمه، والمسارات المؤثرة والضابطة للممارسة الاجتماعية للحركات الإسلامية.

ثانياً: مراجعة الخطاب الاجتماعي في المرحلة السابقة، والتخلص من العديد من السلبيات التي طغت عليها واكتنفت الممارسة الاجتماعية للحركات، ومن ذلك:

أ- منطق الوصاية الدينية على المجتمع، والشعور بالأفضلية على باقي أفراد المجتمع وشرائحه المختلفة، ومن ذلك شعور العديد من أفراد المجتمع أن الحركات الإسلامية تدعي احتكار تمثيل الإسلام والحرص على مصالحه دون الآخرين، وارتبط بذلك سيادة أساليب دعوية منفرة وغياب الحكمة والرفق بالدعوة إلى الله، ومخاطبة الناس بمنطق المحرمات والزواجر قبل مخاطبتهم بمنطق الخطاب التأنيسي ولترغيبي.

ب- الاستقطاب التنظيمي بين أفراد الحركات الإسلامية والجماعات المختلفة، وحرص كل جماعة على تجنيد أكبر عدد ممكن لمصلحتها، وحدوث تضارب شديد بين هذه الحركات انتقل إلى المساجد بحيث سادت لغة التخوين والتهم والعبارات الجارحة والبعيدة كل البعد عن منطق الأخلاق الإسلامي ومقاصدها الاجتماعية.

ج- أدت النقطة السابقة إلى حلول روح الدعوة التنظيمية الحزبية الضيقة على حساب الدعوة إلى الإسلام ومنهجه العام، وقد رأينا كثيرا من الحركات والأحزاب الإسلامية تهتم كثيرا بمسألة التجنيد التنظيمي والدعوة إلى فهمها للإسلام على حساب الدعوة إلى الله في أصولها ومقاصدها العامة؛ مما أدى في الحقيقة إلى اختلاط كبير بالمفاهيم واختلال بالوسائل والمناهج التربوية حتى داخل هذه الحركات.

د- وجود فئة داخل الحركات الإسلامية متكسبة من الدعوة ومستفيدة من إقبال الناس على دين الله، فتستغل أموال الوقف والمساعدات لمصالحها الخاصة، وقد رأينا بأم أعيننا كيف أن أناسا كانوا لا يجدون لقمة خبزهم، وصلوا من طرق ملتفة على الصحوة إلى حالة من الترف الشديد، في الأردن مثلا: تم استغلال اسم أحد علماء الحديث المعاصرين ناصر الألباني من قبل تلاميذه بشكل سيء جدا وجرى التكسب من ذلك بصورة لا تمت إلى أخلاق الإسلام بصلة، كذلك هناك حركات إسلامية جمع قادتها من خلال سمعة حماس وادعاء مساندتها ثروة كبيرة، ووضعوا لأنفسهم مناصب وهمية برواتب كبيرة جدا، وهناك العديد من الظواهر المرضية الأخرى التي بنيت على التكسب من الدعوة ومن إقبال الناس على دين الله.

ه- الاهتمام بالجزئيات والفرعيات على حساب الأوليات والأصول، وغياب الدعوة إلى المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وافتقار الحركات الإسلامية إلى الأساليب والأدوات الفاعلة والمحببة في الدعوة، وقد تجاوز عدد كبير من أفراد المجتمع الحركات الإسلامية من خلال استخدامهم الانترنت والموبايل في إيجاد وسائل التذكير بالله والدعوة الإسلامية.

ثالثاً/ صوغ الخطاب الاجتماعي وتجديد أدوات الممارسة الدعوية:

بناء على ما سبق فإن صوغ الخطاب الاجتماعي لابد أن يرتكز على الدراسات الاجتماعية ومراعاة التحولات والتطورات، كذلك التخلص من السلبيات المتعددة السابقة في الممارسة الاجتماعية، وبالإضافة إلى ذلك لا بد من مراعاة الملحوظات التالية:

أ- أن الدعوة إلى الله علم وفن له أصوله ومقاصده المستمدة من الوحي الشريف ومن السيرة السمحة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وبالتالي لا تجدي الوسائل العفوي والارتجالية في التعامل مع الناس وتقديم الإسلام لهم.

ب- ضرورة مراعاة أن ينطلق الخطاب الإسلامي ويتأسس على الكليات والأصول قبل الجزئيات وعلى الحجج والأدلة والمؤنسات قبل الواجبات المحرمات، ومراعاة كل الأساليب الممكنة من الترغيب والإقناع والرفق بالمدعو.

ج- استحضار قواعد المصالح والمفاسد في عملية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستدعاء قاعدة اخف الضررين، ودرجات التغيير ووسائله وآدابه في صوغ الخطاب الإسلامي وبناء الممارسة الدعوية.

د- تتطلب النقطة السابقة وجود مدارس لتدريب الدعاة وتأهيلهم وتدريس مناهج الاتصال الاجتماعي والثقافي في هذه المدارس،

وأساليب الجدال والحوار والإقناع والتعامل مع الفئات المختلفة، ومن ذلك: علماء المؤسسات الدينية التقليدية، أصحاب المهن الحرفية، المرأة، الطفل، ذوي الاحتياجات الخاصة، المراهقين،..الخ.

ه- الاهتمام بموضوعات جديدة في الهموم الاجتماعية وخطيرة كالمشاريع التنموية والأهلية وميادين العمل الطوعي ومؤسسات المجتمع المدني، ومحاولة الربط بين الفقه الإسلامي وبين هذه الميادين لبناء مدركات ومقاربات موضوعية في التعامل معها.